الوطنية في شعر شوقي

بقلم الدكتور / حمدان عبد الرحمن أحمد
الأستاذ المساعد في قسم الأدب والنقد

أولا : التعريف بالشاعر :

في مدينة القاهرة العامرة ، وفي مهد من مهاد الثراء والنعيم، وفي بيئة «أرستقراطية» مترفة، ولد أمير الشعراء أحمد شوقي سنة ١٨٦٩م، وأخذ يختلف منذ سنته الرابعة الى الكتاب ، ثم انتقل الى المدارس الابتدائية والثانوية فأتاح له ذلك فرصة الاختلاط بأبناء الشعب والتفاعل معهم والتعرف على مشاكلهم وآلامهم .

ولما أتم تعليمه الثانوي ألحقه أبوه بمدرسة الحقوق ـ كما كانت تسمى آنذاك ـ ليدرس فيها القانون ، وفي هذه المدرسة التقى شوقي بأستاذه في العربية الشيخ محمد البسيوني . وهو الذي أخذ بيده ، وحببه في اللغة ، وشجعه على قرض الشعر .

وبعد تخرجه في هذه المدرسة سنة ١٨٨٧م عينه الخديوي توفيق بالقصر ثم أرسله في بعثة دراسية الى فرنسا ليكمل فيها دراسة الحقوق فحصل على الاجازة العالمية في الحقوق بعد أربع سنوات دراسية .

وقد أتيح له في فرنسا أن يشاهد مسارحها ، وأن يتصل بحياتها الأدبية وأن يطلع على آثار كبار الكتاب والشعراء فيها أمثال : فيكتور هيجو ، ودي موسيه ولافونتين الذي تأثر به في فن القصة على لسان الحيوان ، ولامرتين الذي ترجم له قصيدة البحيرة شعرا ، كما سنحت له الفرصة لزيارة لندن والتعرف على التيارات الأدبية فيها .

وبعد رجوعه الى مصر عمل رئيسا للقسم الافرنجى بالقصر وسرعان ما توطدت الصلة بينه وبين الخديوى عباس ، الذى وثق به ، وقربه من مجلسه ، وجعله صاحب الحل والعقد فى كثير من أمور الدولة • فعظم نفوذه ، وعلا شأنه ، وأصبح مقصدا لطلاب الحاجات، وملجأ لأصحاب المصالح وملاذا للراغبين فى الجاه والألقاب •

واشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م ، وكان الخديوى عباس غائبا بتركيا فمنعه الانجليز من دخول مصر لأنه كان يكرههم ويرتمى فى أحضان الأتراك ، وأقاموا عليها السلطان حسين كامل بدلا منه ، ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا يبعدون عن القصر كل من يستشعرون فيه الولاء لعباس •

ولم يسكت شوقى على هذا الوضع ، وانما نظم قصيدة تحدث فيها عن الحماية الانجليزية على مصر وقال فيها : ان الرواية لم تتم فصولا(١) ، فشعر الانجليز بخطره ، وخافوا من تأثير شعره ، فنفوه الى أسبانيا وظل بها طوال الحرب هو وأسرته •

وهناك أخذ ينظم قصائده فى أمجاد العرب ودولتهم الزاهرة التى اندثرت فى الأندلس ، ويضمنها حنينا مؤثرا الى مصر•

ولاشك أن النفى قد أثر فى نفسية شوقى ، وجعله يراجع نفسه فى علاقته بالقصر ورجاله تلك العلاقة التى لم يكن لشوقى أى دخل فيها فلقد ولد كما يقول : بباب اسماعيل وتفتحت عيناه على الحياة فوجد نفسه داخل القصر فارتبط برجاله منذ نشأته المبكرة فكان طبعيا أن يدور فى فلكهم ، وأن يعترف بفضلهم ، وأن يدافع عن علاقته بهم حيث يقول :

أأخوان اسماعيل فى أبنائه ولقد ولدت بباب اسماعيل

---

(١) شوقى شاعر العصر الحديث ص ٣١ د• شوقى ضيف •

وحين رجع من منفاه وجـد فى مصر ثورة عارمة يقـودها زعيم مصرى هو : سعد زغلول فتفاعل مع أحداثها وتعاطف مع مطالبها،ومن هنا بدأت الدورة الثانية فى حياته ، فأخذ يتحرر من القصر ويتخلص من قيوده الذهبية فترك وظيفته الحكومية ، وعاش حرا طليقا مخلصا لفنه وشعبه يغنيه أغان وطنية رائعة حتى تفوق على حافظ فى هـذا الميدان ، ومرجع ذلك كما يقول الدكتور : شوقى ضيف « أن فنه كان أروع من فن حافظ فلما اتجه به الى تصوير عواطفنا الوطنية،وحياتنا السياسية بلغ من ذلك الغاية التى لا تمتد اليها الأعناق » .

ومنذ ذلك الحين أخذ شوقى يتجه بشعره اتجاها وطنيا ثم قوميا واسلاميا ، ومن أجل ذلك كله اتجهت النية الى مبايعته أميرا للشعراء فى سنة ١٩٢٧م عندما أعاد ديوانه الشـوقيات .. وأقيم له حفـل عظيم اشتركت فيـه الحكومة المصرية ، وجـاءت وفود الشعراء من الأقطار العربية تشارك فى هذا الحفل ، وتشيد بنبوغ شوقى وعبقريته الفذة ، وتبايعه أميرا للشعراء ، وقد أعلن حافظ هذا التتويج فى قوله :

أمـير القوافى قد أتيت مبايعـا ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

ولم تستسترح نفس شوقى الكبـيرة عن هذا الظفر العظيـم ، بل طمحت الى أن تحقق أملا منشودا كان يراود دعاة التجـديد فى أوائل القرن العشرين ، وهو ادخال الشعر التمثيلى الى دوائر الشعر العربى فنظم سبع مسرحيات شعرية خالدة ثلاث منهـا مستمدة من التـاريخ المصرى وهى : قمبيز ، و « مصرع كليوباترا » ، وعلى بك الكبـير ، وثلاث مستمدة من التاريخ العربى وهى عنترة ، ومجنون ليلى . وأميرة الأندلس وهذه كلهـا مسرحيات مأساوية .. ثم لهاة مصرية واحـدة هى : الست هدى :

---

(٢) الأدب العربى المعاصر فى مصر ص ١١٢ د. شوقى ضيف .

وظل شوقى يشدو بأجمل الألحان ، ويمتع الجماهير بأعظم القصائد ، حتى سقطت قيثارة الشعر من يده فى أكتوبر سنة ١٩٣٢م فلبى نداء ربه بعد أن ترك لمصر وللبلاد العربية والاسلامية بل وللانسانية جمعاء تراثا شعريا خالدا لا يبلى .

وخرجت الجماهير المصرية تشيع شاعرها بقلب حزين ، وانبرى الأدباء فى مصر والوطن العربى يرثون شاعرهم العظيم ومن أروع ما قيل فى رثائه قول بشارة الخورى :

قف فى ربا الخلد واهتف باسم شاعره
فسدرة المنتهى أدنى منابره
وامسح جبينك بالركن الذى انبلجت
أشعة الوحى شعرا من منائره
الهة الشعر قامت عن ميامنه
وربة النثر قامت عن مياسره
والحور قصت شعورا من غدائرها
وأرسلتها بديلا من ستائره(٣)

ثانيا : الوطنية فى شعر شوقى :

(أ) الوطنية فى شعره التقليدى :

عاش شوقى فى فترة احتلال لمصر وللبلاد العربية ، وتفتحت عيناه على الانجليز يجوسون خلال الديار ، ويعيثون فيها فسادا يحتلون البلاد ، ويسترقون العباد ، ويسلبون الأموال كما شاهد تسلط الفرد،

---

(٣) شوقى شاعر العصر الحديث ص ٤١ د. شوقى ضيف ط : دار المعارف بمصر .

وسيطرة القصر ورأى الامتيازات الأجنبية التى ترفع الغريب درجات، وتجعله يتمتع بكثير من الحقوق التى لا يحصل عليها المصرى صاحب الأرض .. فتأثر بتلك الأحداث وتفاعل معها وعبر عنها فى شعره أصدق تعبير وقل من الشعراء من ضاق كضيقه بمأساة الشعب المصرى فى مستواه السياسى الأعلى .

«وكثيرا ما رمى شوقى من خصومه بأنه لم يهتم بالشعب لأنه لم يعرف البؤس ولأنه عاش عيشة المترف فى كنف الأسرة الحاكمة . واذا كان شوقى لم يتغن ببؤس العيش فى صوره الدنيا من ضيق ذات اليد ، والعوز والعدم ، وما اليها من مشاعر ذاتية عاناها البائسون ، الفقراء من الشعراء فقد أحس احساسا لم يدانه أحد فيه بالقضايا الاجتماعية لعصره ، وبأمراض مجتمعه المعوقة له عن مسايرة ركب الحضارة العالمى ويتخلف الوعى الشعبى فى الأزمات الكبرى .. وقد رأى شوقى فى مقدمة الجزء الأول من شوقياته أن يقتصر فى تجديده على بث هذه القضايا الجديدة على الوعى العربى من خلال قوالب الشعر التقليدية،وفى هذا المجال كان وعى شوقى متقدا مشبوبا بالبؤس الوطنى فى صوره الكبرى أرحب ما يكون ، وأشمل ما يوجد ، فرأى أن يحتال على ايقاظ وعى وطنه ببث هذا الاحساس الاجتماعى فى قصائده وفيه يقرع أنوف المتلفين من الحكام صراحة أحيانا ، وعن مواربة ومداراة أحيانا أخرى(٤) .

والمتصفح لديوانه الشوقيات يجده حافلا بالقصائد الوطنية التى تمجد الماضى بمآثره ، وتستمد منه العبرة للمستقبل ويكفى أن أول قصيدة فى شوقياته تعد ملحمة رائعة من ملاحمه الوطنية وهى « كبار الحوادث فى وادى النيل » وفيها يتحدث عن التاريخ المصرى من عهد

---

(٤) فى النقد المسرحى ص ٩٢ د. محمد مندور ط بيروت .

الفراعنة حتى عهد محمد على ، حيث يتحدث بكل الفخر والاعتزاز عن أمجاد الفراعنة الذين أشادوا الأهرامات الخالدة .. أنظر اليه يصور عظمتهم ، ويدافع عنهم ، ويرد كيد الشانئين الذين اتهموهم بالنعى وتسخير الناس فى عملية البناء حيث يقول :

قل لبان بنى فشاد فغالى
لم يجز مصر فى الزمان بناء
ليس فى المكنات أن تنقل الأجيا
ل شما وأن تنال السماء
أجفل الجن عن عزائم فرعو
ن ودانت لبأسها الآناء
شاد ما لم يشد زمان ولا أنـ
شأ عصر ولا بنى بناء

ثم يندد بالحاسدين والمثبطين فيقول :

زعموا أنها دعائم شيدت
بيد البغى ملؤها ظلماء
فاعذر الحاسدين فيها اذا لا
موا فصعب على الحسود الثناء

الى أن يقول :

ان يكن غير ما أتوه فخار فأنا منك يا فخار براء

ثم يصل الى عهد « الهكسوس » المظلم فيشعر بالحسرة والأسى فيقول :

لبثت مصر فى الظلام الى أن
قيل مات الصباح والأضواء

لم يكن ذاك من عمى كل عـــين
حجب الليـل ضـوءها عمياء

ثم تشرق الأضواء على مصر بعد ظلام حالك وذلك فى عهد رمسيس فيشيد الشاعر به :

جـل رمسيس قطـره وتعالى
شـيعة أن يقـوده السـفهاء
وسـما للعـلا فنـال مكـانا
لم ينلـــه الأمثـال والنظراء

وتتعرض البلاد بعد ذلك لاحتـلال غاشم على يد قمبيز الفارسى فيأسى الشاعر على ما أصابها على يد ذلك الدخيل من خراب وويلات :

لا رعـاك التـاريخ يا يوم قمبيـ
ـز ولا طنطنت بـك الأنبـاء
دارت الـدائرات فيـك ونـالت
هذه الأمـة اليد العسـراء
فمبصـر مما جنيت لمصـر
أى داء مـا ان اليـه دواء
نكـد خـالد ، وبـؤس مقيم
وشـقاء يجد منه شـقاء (٥)

وهكذا نجد الشاعر يفخر بالأيام المشرقة فى تاريخ مصر الفرعونية ويأسى لما أصاب البلاد على أيدى الفاتحين والغزاة فى عصورها المظلمة حتى يأخذ الشعب العبرة من التاريخ ويتطلع الى غد مشرق ومستقبل مضىء .

---

(٥) انظر الشوقيات جـ ١ ص ١٦ وما بعدها ط بيروت .

وينتهز الشاعر فرصة اكتشاف مقبرة « توت عنخ آمون » لينبه الى حق الشعب فى تقييد سلطة الملك وطغيانه :

زمـــان الفـــرد يا فرعـــون ولى
ودالت دولـــــة المتجبرينـــا
وأصـــبحت الرعـــاة بكل أرض
على حكـــم الرعية نازلينـــا(٦)

وللماضى فى نفس شـــوقى أثر يذهب الى أعمـــاقها •• وهو فى اعجابه بالماضى انما لكى يستوحى منه العبرة للحاضر المؤلم الذى كان يعيشه وهو كثيرا ما كان يقارن بين ما كان عليه الآباء من عز ومنعـــة وما صـــار اليه الأبناء من لهـــو ومجون انظـــر اليه وقد تخيـــل أن « توت عنخ آمون » بعث من قبره وشـــاهد أقدام الانجليز تطأثرى وطنه ، ووجـــد المصريين لاهين عنهم يلعبون ويطربون • ويرقصون على موسيقى « الجازبند » كأنهم لا يشعرون •• الرجال قد اختلطت بالنساء فى حفلة خليعة ماجنة فى وقت تحتاج فيه البلاد الى الرجـــال حيث يقـــول :

فقال والحســـــرة ما أشـــدها
ليت جـــدار القـــبر ما تهـــدهدا
وليت عينى لم تفـــارق رقـــــدها
قـــم نبنى « يا بنتئـــور » ما دهى
مصر فتـــــاتى لم توقر جدهـــــا
دقت وراء مضجعى « جاز بندها »
وخلطـــــت ظبـــــاءها وأســـدها
وسكب الساقى الطـــلا وبددها (٧)

---

(٦) انظر الشوقيات جـ ١ ص ٢٧٤ .
(٧) بددها : فرقها .

قد سحبت على جلالى بردها
ليت جلال الموت كان صدها (٨)

وما تغنى شوقى بأمجاد الجدود من فراعنة وعرب الا طريقه لتوفير ثقة الشعب بنفسه لبناء مستقبل زاهر على أنقاض الحاضر ، مستقبل يليق بمجد الأجداد العريق ، ويتسامى على التركة التى أودعها له أولئك البانون الجادون • فلا يفوته أن يستخلص العبرة من وقوفه على آثار العرب فى الأندلس :

رب بان لهادم وجموع
لشتت ومحسن لمخس
امرة الناس همة لا تأتى
لجبان ولا تسنى لجبس(٩)
واذا ما أصاب بنيان قوم
وهى خلق فانه وهى أس

الى أن يقول :

واذا فاتك التفات الى الما ضى فقد غاب عنك وجه التأسى

وفى أسبانيا تأججت نيران الوطنية فى قلب شوقى وشعر بحنين جارف الى مصر • ومن منا لا يشعر بذلك الحنين اذا خرج من مصر ولو لوقت قصير • فما بالنا والشاعر قد أخرج من مصر قسرا وفرضت عليه الاقامة الجبرية فى منفاه أنه يقاسى من ألم الوحدة ، وقسوة الرفاق ، ومرارة البعد لقد حرم من جنته التى ولد فيها وتربى على

---

(٨) الشوقيات ٢ : ١٥٩ ط بيروت •
(٩) الجبس : الجامد الثقيل الروح واللئيم والغبى والجمع أجباس وجبوس •

خيرها ، وتمتع بمناظرها • فـراح يصوغ كل هذه المعانى فى شـعر رقيق مؤثر استمع الى قوله فى السينية :

وسلا مصر : هـل سلا القلب عنهـا
أو أسـا جرحـه الزمـان المؤس
كلمـا مـرت الليـالى عليه
رق والعهـد فى الليـالى تقس
مسـتطار اذا البـواخر رنـت
أول الليـل أوعوت بعد جرس(١٠)
راهب فى الضـلوع للسفن فطن
كلمـا ثـرن شاعهن بنقس (١١)
يا ابنـة اليـم ما أبـوك بخيـل
مالـه مولعـا بمنعى وحبسى
أحـرام عـلى بـلابله الـدو
ح حـلال للطـير من كـل جنس
كـل دار أحـق بالأهـل الا
فى خبيـث مـن المذاهـب رجس
وطنى لو شـغلت بالخلـد عنـه
نازعتنى اليـه فى الخلـد نفسى
شـهد الله لم يغب عن جفـونى
شخصه ساعة ولم يخل حسى (١٢)

وعنـدما وضعت الحرب أوزارها عاد شـوقى الى مصر ، فوجد الثورة الوطنية قد اندلعت فى أرجـائه ووجد شباب مصر فى انتظـاره

---

(١٠) مستطار : استطير الشىء : انتشر •
(١١) النقس : الضرب بالناقوس •
(١٢) الشوقيات ٢ : ٤٦ •

فحملوه على الأعناق ، والدموع تترقرق فى عينيه من فرحة اللقاء . ويصور هذه الفرحة فى قصيدته بعد المنفى حيث يقول :

ويا وطنى لينك بعد يأس
كأنى قد لقيت بك الشبابا
وكل مسافر سيئوب يوما
اذا رزق السلامة والايابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى
عليه أقابل الحتم المجابا
أدير اليك قبل البيت وجهى
اذا فهمت الشهادة والمثابا (١٣)

ثم أخذ شوقى يتفاعل مع الأحداث الوطنية فى مصر ، ويصور كل ما يجيش فى صدر الشعب من آلام وآمال وفى سبيل بناء الوطن على دعائم قوية كان يدعو الى الوحدة ويحذر من الفرقة ، يقول مخاطبا رجال الأحزاب :

الام الخلف بينكم الام
وهذى الضجة الكبرى علام؟
وفيم يكيد بعضكم لبعض
وتبدون العداوة والخصاما
وأين الفوز ؟ لا مصر استقرت
على حال ولا السودان داما
ترامیتم فقال الناس قوم
الى الخذلان أمرهم ترامى

---

(١٣) الشوقيات : ١ : ٦٦ .

وكانت مصـــر أول من أصبتم
فلم نحص الجراح ولا الكلاما
ولينـــا الأمر حزبا بعد حزب
فلم نك مصلحين ولا كراما
جعلنـــا الحكم تولية وعزلا
ولم نعد الجـــزاء والانتقاما
وسسنا الأمـــر حين خلا الينا
بأهواء النفوس فما استقاما(١٤)

وهو بذلك انما يعبر عن الشعب الحزين الذى نال بعض حقـــوقه السياسية سنة ١٩٢٤ م فاستغلتها الأحزاب لتحصل على كراسى الحكم كأنها مغانم لها وتترك الشعب يجتر آلامه وينق فى طينة البؤس نقيق الضفادع أما السودان فيوشك الانجليز أن يبتلعوه •

وما من مناسبة وطنية الا ونرى « شـــوقى » يتجاوب معهـــا ، ويشارك أبناء الشعب فيها ، ويصوغ فيها أروع قصائد الوطنية •

فعندما اعتدى شاب مخبول على « سعد زغلول » كتب شـــوقى قصيدة طويلة يندد فيها بهذا العمل المجنون — ويهنىء فيها الزعيم ، ويصور مشاعره ومشاعر المصريين ازاء هذا الحدث الجلل حيث يقول :

نجـــا وتمـــاثل ربانهـــا
ودق البشـــائر ركبانهـــا
وهـــلل فى الجـــو قيدومهـــا
وكبـــر فى المـــاء سكانها (١٥)

---

(١٤) الشوقيات ١ : ٢٢١ •
(١٥) قيدومها : صدرها ، وسكانها : ذنبها •

تحـــول عنهـــا الأذى وانثنى
عبـــاب الخطـــوب وطوفانها
نجا « نوحها » من يد المعتدى
وضـــــل المقـــاتل عدوانهـــا
يـــــد للعنـــــاية لا ينقضى
وان نفـــد العمـــر شكرانها
ونجى الكنـــــانة من فتنـــة
تهـــــددت النيـــــل نيرانها
فيا ســـعد جرحك ســـاء الرجال
فلا جرحت فيك أوطانهـــــا

وفى نهاية الـــقصيدة يصيح هذه الصيحة التى مست مكامن الداء وهو ضعف الوعى الاجتماعى عند الشباب ، فينادى بتربية هذا الوعى عن طريق التعليم الجاد المثمر ويلقى بالتبعة كلها على رجال التعليـــم الذين ينبغى أن يعتنوا بالشباب وأن يربوه على الفضيلة ، وأن يغرسوا فى نفوسه حب الوطن ، والتضحية فى سبيله بكل مرتخص وغال :

فأين المعلـــم ؟ مـــا خطبـــــه ؟
وأين المدارس ؟ مـــا شـــــأنها ؟
لقـــد عبثت بالنيـــــاق الحداة
ونـــام عن الابـــل رعيانهـــــا
الى الخلق أنظـــر فيما أقـــول
وتأخـــــذ نفسى أشجانها

وفى قصيدته عن المعلم ينادى باحترام المعلم وتبجيله ووضعه فى موضعه المناسب فى الشريحة الاجتمـــاعية .. فهو الذى يبنى العقول ،

---

(١٦) الشوقيات ١ : ٢٦٤ .

وينشىء الرجال ، واذا انحرف عن أداء رسالته أو قصر فيها ربى أجيالا تنحرف بالوطن كله الى الهاوية :

يقـول :

قم للمعـلم وفـه التبجيـلا
كاد المعـلم أن يكون رسـولا
أعلمت أشـرف أو أجل من الذى
يبنى وينشىء أنفسـا وعقـولا

ثم يبين أثر المعلم فى تربية الأجيال ، وفى بناء الأمم فيقول :

أمعلمى الوادى وسـاسة نسئه
والطابعين شـبابه المأمولا
ربوا على الانصاف فتيان الحمى
تجدوهم كهف الحقـوق كهولا

واذا أساء المعلم فهم رسالته أو انحراف بها عن الجادة كان لذلك أسوأ الأثر فى نفوس الناشـئة ، وفى ضياع القيم والمثل وفى هبـوط الأخلاق وانحطاطها يقول :

واذا المعلم لم يكن عـدلا مشى
روح العدالة فى الشباب ضئيلا
واذا المعلم سـاء لحظ بصيرة
جـاءت على يده البصائر حولا
واذا أتي الارشاد من سبب الهوى
ومن الغـرور قسـمه التضليلا
واذا أصيب القوم فى أخـلاقهم
فأقـم عليهم مأتمـا وعـويلا

وفى موطن آخر من القصيدة نراه يشحذ الهمم ، ويبعث العزائم

ويحث الأبنـــاء على الســـير فى نهج الآبـــاء ، وينعى عليهم تخلفهـــم وتخاذلهم فيقـــول :

تجد الذين بنى المســـلة جدهم لا يحسنون لابرة تشكيلا(١٧)

وفى حديثه عن الشباب يشير على نفس الدرب ويعزف على نفس النغمة ويحـــاول أن يرد ثقـــة الشباب فى أنفســـهم فيأخذ بأيديهم ، ويوجههم الى طلب العلم ، واستقصاء التاريخ ، والســـعى الى طلب القوة والمجد فيقول :

لا تقـــولوا حطنا الدهـــر فمـــا
هو الا من خيـــــال الشـــعراء
هـــل علمتم أمـــة فى جهلهـــا
ظهرت فى المجـــد حسناء الرداء ؟
فخـــذوا العلم عـــلى أعلامـــــه
واطلبوا الحكمـــة عند الحكمـــاء
واحكموا الدنيـــا بسلطان فما
خلت نصـــــرتها للضـــــعفاء
واطلبوا المجـــد على الأرض فان
هى ضاقت فاطلبوه فى السماء(١٨)

واذن فقد تجاوز شوقى فى قصـــائده التقليدية معاصريه فى بعث الوعى الاجتماعى لدى الشعب ، وفى اعطائه الثقة بنفسه حتى يستطيع أن يقف فى وجوه الظالمين وأن يعرف حقوقه فيدافع عنها .

انظر اليه يخاطب العمال فيحثهم على الجد ، والمثابرة فى العمل

(١٧) الشوقيات ١ : ١٨٢ .
(١٨) الشوقيات ٢ : ٦ .

ويذكرهم بمجد الآباء والأجداد حتى ينهضوا بمصر ، ويسايروا ركب الحضارة العالمية :

أيهـــا العمال : أفنوا الـــ
عمـــر كـــدا واكتســـابا
واعمروا الأرض فـــلولا
ســـــعيكم أمست يبـــابا
أين أنتـــم من جـــدود
خلـــدوا هذا التـــــرابا
قلـــــدوه الأثـــر المعـــــ
جـــز والفـــن العجـــابا
وكســـــوه أبـــد الده
ر من الفخـــــر ثيـــــابا

ثم يحاول أن يستنهض عزائمهم ، ويبعث حماسهم فيقول :

أرضـــيتم أن ترى مصـــ
ر من الفـــــن يبـــــابا
بعـــدما كانت ســـــماء
للصـــــناعات وغـــــابا ؟

وتتجلى الوطنية فى جانب آخر من شـــعر شوقى التقليدى وهو الاشادة بالأعمال الجليلة النافعة ، والتغنى بمظاهر الحضارة والقـــوة فى مصر ، وله فى ذلك قصـــائد رائعة فى الأزهـــر ودار العلوم ، وبنك مصر ، وغيرها من معالم الحضارة والنهضة الحديثة فى بلادنا .

كما تتجلى كذلك فى أسمى صورها فى رثائه لزعماء الحركة الوطنية والدينية والاجتماعية فى مصر كمصطفى كامل ومحمـــد فريد وســـعد زغلول ومحمد عبده وغيرهم من المصلحين والدعاة .

يقول فى رثاء مصطفى كامل :

المشرقـــان عليـك ينتحبـــان
قاصـــيمها فى مـأتم والـدانى
يا خادم الاســلام أجر مجـــاهد
فى الله من خلـد ومن رضـوان(١٩)

وفى رثائه لمحمد فريد يقول :

مصـــر تبكى عليك فى كل خـــدر
وتصـــوغ الرثـــاء فى كل نـــاد
لو تأملتهـــا لراعـــك منهـــا
غـــرة البـــدر فى سواد الحداد
منتهى مـا به البـــلاد تعـــزى
رجـل مات فى ســـبيل البـلاد
أمهـــات لا تحمـــل الثكـل الا
للنجـيب الجـــرىء فـــى الأولاد
كفـريد وأيـن ثـانى فـــريد ؟
أى ثان لواحـد الآحـــاد(٢٠)

ويظهـر تأثر الشـاعر وحزنه العميـق فى رثائه لسـعد زغلول حيث يقول :

شـيعوا الشمس ومالوا بضـــحاها
وانحنى الشـــرق عليهـــا فبكاها
ليتنـى فـى الركـب لمـا أفلـــت
« يوشـع » همـت فنـادى فتنـــاها

---

(١٩) الشوقيات ٣ : ١٥٧ .
(٢٠) المرجع السابق ٣ : ٥٩ .

جـلل الصـبح سـوادا يومهـا
فكان الأرض لم تخلـع دجـاها (٢١)

ويقول فى رثاء الامام الشيخ محمد عبده :

مفسـر آى الله بالأمس بيننـا
قم اليـوم فسر للورى آية المـوت
هو الدهر ميـلاد « فشـعل » فمأتم
فذكر كما أبقى الصدى ذاهب الصوت(٢٢)

وفى ذلك كله نرى أن وطنيـة شوقى لم تظهـر فى وصف البؤس والفاقة أو تصوير العدم والعوز لأنه لم يذق طعم البؤس أو مـرارة الحرمان وانما ظهرت وطنية واضحة فى شحذ الهمم ، وبعث العزائم ، وتوجيه الشباب ، وبناء الوعى القومى لدى الشعب ، والاشادة بالأعمال الجليلة • وفى رثاء العظماء •

(ب) الوطنية فى شعره على لسان الحيوان :

من الذين عالجوا فن الحكاية على لسان الحيوان أمير الشـعراء أحمد شوقى •• ويعد رائدا لهذا الفن فى الشعر العربى غير منازع • ولا يوجد من شعراء العرب العصريين ـ فيما أعلم ـ من بزه أو تفوق عليه فى هذا السبيل • • •

وقد حاكى « لافونتين » امام هذا الفن فى فرنسا • وتفوق عليه فيه كما تأثر بقصص الحيـوان التى وردت فى كتاب « كليلة ودمنـة » الذى ترجمـه الى العربيـة فى العصـر العبـاسى الأديب الكبـير :

---

(٢١) الشوقيات ٣ : ١٧٤ •
(٢٢) نفسه ٣ : ٤١ •

عبد الله بن المقفع ومازال شوقى يرتقى بهذا الفن حتى وصل به الى درجة قريبة من الكمال •

وشوقى يهدف من قصصه على لسان الحيوان الى تربية الوعى القومى • والحسى الوطنى ، لدى الشعب المصرى حتى يتفهم ما يدور حوله من أحداث ويتصدى للطامعين فى أرضه ولا ينخدع بمسول الكلام وجميل القول ••

وفى شوقياته قصيدة رائعة توضح ما أقول • وهى بعنوان « الديك الهندى والدجاج البلدى » يقول فيها •

بينما ضعاف من دجاج الريف
تخطر فى بيت لها ظريف
اذ جاء هندى كبير العرف
فقام فى الباب مقام الضيف
يقول : حى الله ذى الوجوها
ولا أراها أبدا مكروها
أتيتكم أنشر فيكم فضلى
يوما وأقضى بينكم بالعدل
وكل ما عندكم حرام
على الا الماء والمنام
فعادوا الدجاج داء الطيش
وفتحت للعلج باب العش
فجال فيه جولة المليك
يدعو لكل فرخة وديك
وبات تلك الليلة السعيدة
ممتعا بداره الجديدة

حتـــى اذا تهـــلل الصـــباح
واقتبست من نـــوره الأشـــباح
صـــاح بهـــا صـــاحبها الفصيح
يقـــول : دام منـــزلى المليـــح
فانتبهت من نومهـــا المشـــئوم
مذعـــورة من صـــيحة الغشوم
تقـــول : ما تلك الشـــروط بيننـــا
غدرتنـــا والله غـــدرا بينـــا
فضـــحك الهندى حتى اســـتلقى
وقـــال ما هـــذا العمى يا حمقـــى
متى ملكتـــم ألســـن الأربـــاب
قد كان هذا قبل فتح الباب(٢٣)

« فشوقى فى الحكاية السابقة يصف المجال ، ويهىء فى وصـــفه لمجرى الحدث بين المخلوقات الضعيفة المغترة بهذا الدخيل ، القـــوى المحتال ، وكل كلمة من الكلمات وكل جملة من الجمل يختارها شـــوقى فى عناية ، لتصف الحالة النفسية لكل من الفريقين .

وعلى الرغم من أن هذه الصـــفات مميزة لأصـــحابها ، ومصورة للدجاج بوصفها رمزا فانها تتراسل مع صـــفات المواطنين المقصودين فى موقفهم من الأجنبى الدخيـــل .. ولهجة الديك الهندى فى تظاهره بالضـــعف ، وزعمـــه الرغبة فى الخـــير ، وتوكيده ان اقامتـــه موقوته تتفق تماما مع وعود الانجليز لذلك العهد ولهجتهم مع المصريين .... ثم يحدث فى الحكاية ما يشبه التحول فى المسرحية حين يفتح الدجاج الباب لهذا الهندى .. ولكن شوقى يطور الحالة النفســـية فى بطء لكل

---

(٢٣) الشوقيات ٤ : ١٢٩ ط .دار الكتاب العربى بيروت .

من الفريقين فتبدو المخاطر أولا هواجس فى أدهـان الدجاج قبل أن تصبح حقائق مروعة ، على حين يغير الهندى من مسلكه قليـلا قليلا ، وهو رضى النفس واثق من عاقبة مسلكه مع هؤلاء الأغرار ، ثم يفاجىء الغافلين بالكشف عن حقيقة قصده ، وهم مستغرقون فى نوم الغفلـة ليستيقظوا بعد فوات الأوان •

وما أعظم الفرق بين حال الهندى فى بدء طرقه الباب وحـاله فى سخريته المرة حين استقر به المقام •

والحكمة الخلقية والوطنية فى الحكاية ليست مقحمـة بعد ذلك بل هى مصورة تصويرا محكما فى الدقائق ، والتفصيلات المنظومة فى سياق الحكاية ــ وبهذه القوة فى التصوير يؤدى هذا الجنس الأدبى رسالته خير أداء »(٢٤) •

وشوقى فى معظم حكاياته يرمى الى تنمية الشعور الوطنى لدى المواطنين كما يهدف الى تربية الشباب المصرى على العزة والكرامـة ، والثقة بالنفس ، والاتحاد من أجل مقاومة المحتل ، وبين أن المستعمر لا وجود له فى أمة اتحدت أهدافها • وتوحدت غاياتها ، وصممت على الحرية والاستقلال •• وأن الأمـة مهما كانت ضعيفة عاجزة تستطيع بفضل الاتحاد أن تحقق المعجزات ، وأن تقهر أعتى الجيوش • وله فى ذلك حكاية شعرية بعنوان « الفيل وأمة الأرانب » تدل دلالة واضحة على هذا الاتجـاه ، وتبين أثر الاتحاد فى تحقيق النصر على أقوى الأعداء •• والقصة فيها تحـريض رمزى مغلف للشـعب المصرى كى يتحد فى مواجهة الانجليز يقول فيها :

يحكـــون أن أمـــة الأرانـــب
قد أخـــذت من الثرى بجـانب

---

(٢٤) الأدب المقارن ص ١٩٤ د. محمد غنيمى هلال •

وابتهجت بالوطن الكريم
وموئل العيال والحريم
فاختاره الفيل له طريقا
ممزقا أصحابنا تمزيقا
وكان فيهم أرنب لبيب
أذهب جل صوفه التجريب
نادى بهم يا معشر الأرانب
من عالم وشاعر وكاتب
اتحدوا ضد العدو الجافى
فالاتحاد قوة الضعاف
فاقبلوا مستصوبين رايه
وعقدوا للاجتماع رايه
وانتخبوا من بينهم ثلاثة
لا هرما راعوا ولا حداثة
بل نظروا الى كمال العقل
واعتبروا فى ذاك سن الفضل
فنهض الأول للخطاب
فقال : ان الرأى ذا الصواب
أن نترك الأرض لدى الخرطوم
كى تستريح من أذى الغشوم
فصاحت الأرانب الغوالى
هذا أضر من أبى الأهوال
ووثب الثانى فقال انى
أعهد فى الثعلب شيخ الفن
فلندعه يمدنا بحكمته
ويأخذ اثنين جزاء خدمته

فقيـــل لا يا صـــاحب السمو
لا يدفـــع العـــدو بالعـــدو
وانتـــدب الثـــالث للكـــلام
فقـــال : يا معشـــر الأقـــوام
اجتمعـــوا فالاجتمـــاع قـــوه
ثم احفـــروا على الطـــريق هوه
يهـــوى اليها الفيـــل فى مروره
فنســـتريح الدهـــر من شروره
ثم يقـــول الجيـــل بعـــد الجيـــل
قـــد أكل الأرانب عقـــل الفيـــل
فاستصوبوا مقـــاله واستحسنوا
وعملـــوا من فورهم فأحســـنوا
وهلك الفيـــل الرفيـــع الشـــان
فأمست الأمـــة فى أمـــان
وأقبلت لصـــاحب التدبـــير
ســـاعية بالتـــاج والســـرير
فقال : مهـــلا يا بنى الأوطـــان
ان محلى للمحـــل الثـــانى
فصـــاحب الصوت القوى الغـــالب
من قد دعا : يا معشر الأرانب(٢٥)

وواضح من هذه الحكاية : أن « شوقى » يحاول أن ينبه المصريين الى الخطر المحدق بهم ، وأن يرسم لهم طريق الخلاص بشكل رمزى يبين لهم أن وسيلة الخلاص من الانجليز هى الاتحاد والعمل الجاد .

---

(٢٥) الشوقيات ٤ : ١٤٢ .

أما الفرقة والانقسام أو الهروب والهجرة ، أو الاستعانة بعدو آخر فان ذلك كله يجر على البلاد المصائب والويلات .

ولشوقى قصة أخرى على لسان الحيوان نشرها سنة ١٩٠٠ فى المجلة المصرية وحرص بعد ذلك على أن لا ينشرها فى دواوينه خوفا على نفسه وعنوانها « دولة السوء » وهى ذات مغزى اجتماعى هجائى وموضوعها : ان محترفا يتكسب بترويض الحيوان له كلب وقرد وحمار ، فأتت هذه الحيوانات الى سيدها ليلة القدر توقظه ليطلب لنفسه ما يريد وقد سبقته الى تمنى سؤالها :

قال له القرد طلبت الملكة
تكون لى وحدى بغير شركة
قال الحمار : وأنا الوزير
والصدر فى الدولة والمشير
والكلب قال : قد سألت الباريا
يجعلنى فى ملك هذا قاضيا
فراع رب الجوق ما قد سمعا
ثم جثا لربه وضرعا
وقال : يا صاحب هذى الليلة
سألت الموت ولاذى الدولة(٢٦)

وفى هذا ما يدل على أن « شوقى » كان فى أعماق نفسه ساخطا على الأوضاع على الدولة ويتمنى الخلاص منها ولو بالموت ، ولا يرى دولة على رأسها قرد ، وكلب ، وحمار .

---

(٢٦) فى النقد المسرحى ص ٩٤ د. محمد مندور .

رابعا : الوطنية فى مسرحياته الشعرية

لقد عاب النقاد « شوقى » فى مسرحياته أنه اختار موضوعها فى فترات تاريخية حالكة الظلام•ولقد سئل شوقى نفسه عن سبب اختياره لمثل هذه الفترات فأجاب : لأنها ما نجتازه من فترة ، وفى هذا كما يقول الدكتور / محمد مندور : دليل على أن « شوقى » قصد فى تلك المسرحيات أن يبث بعض الآراء الجريئة التى لم يكن يتيسر له الافضاء بها فى الشعر الغنائى ، ثم الى توكيد قضاياه الأخرى الاجتماعية التى طالما كررها فى الشعر الغنائى »(٢٧) •

وحين قصد شوقى الى أن يصور لمعاصريه صورة واقعهم فى ماضيهم الضعيف المتخاذل كان يحرص فى نفس الوقت على أن يدع ملامح للخير تشرق خاطفة وسط ظلمات الشر واليأس ، ولكنها لا تتراءى الا لتختفى ، ولا يحول دون نمائها الا ضعف وعى الشعب ، وفقده الثقة بنفسه ، وضنه بالجهود والتضحية(٢٨) •

واذا قرأنا مسرحياته المأساوية والتى استمد موضوعاتها من التاريخ المصرى القديم ندرك صدق هذا الاتجاه ، وهذه المسرحيات هى : على بك الكبير ، ومصرع كليوباترا ، وقمبيز ، وقد راعينا فى ترتيبها الأسبقية فى التأليف لا الأسبقية فى وجود هذه المآسى فى التاريخ •

ذلك أن مسرحية « على بك الكبير » قد ألفها شوقى ، وهو يدرس الحقوق فى فرنسا • وأرسل مسودتها الى الخديوى بمصر الذى لم يرحب بهذا الاتجاه عند شوقى الذى اختار لها فترة من تاريخ مصر

---

(٢٧) فى النقد المسرحى ص ٩٥ •
(٢٨) المرجع السابق ٩٥ •

كانت حالكة السواد حيث كانت تسودها الفتن والقلاقل وغدر المماليك بعضهم لبعض • وهى الفترة التى تولى فيها على بك الكبير حكم مصر من سنة ١٧٦٧م حتى عام ١٧٧٣م • وقد تطلع هذا المملوك الى الاستقلال بحكم مصر ، وفصلها عن الدولة العثمانية وقد نجح فى ذلك فعلا فأعلن استقلاله بها سنة ١٧٦٩م حتى خانه مملوكه « محمد بك أبو الذهب » الذى تآمر مع الأتراك ضده فخرج عليه وهزمه ، وقبض عليه وسجنه فى داره حتى مات سنة ١٧٧٣م •

وقد أراد شوقى أن يصور خلال فترة الاستقلال وطنية على بك الكبير وحبه لمصر ، وحرصه على النهوض بها • ولكن ضعف الوعى القومى عند الشعب المصرى وعدم فهمه لما يدور حوله وعدم تمييزه للحكام المصلحين فوت عليه هذه الفرصة •

يقول على بك وهو يتحدث عن مصر :

بلد رعانى فى الصبا وأحلنى
بعد الشباب مراتب القواد

ويقول فى موضع آخر مخاطبا نفسه :

لا تنسى موضع مصر واذكر
من أنعم سلفت وبيض أيادى
لا تنسى ماذا ألفت من سامر
لك فى الشباب وهيأت من ناد

ويندد على بك الكبير بغدر أبى الذهب ولجوئه الى الترك لاسترجاع مصر منه بعد الاستقلال فيقول شوقى على لسانه :

أبو الذهب الغر بالترك لاذ
وفى مصر • فى غدها ما افتكر

وكـــم قـد غزاهم عـلى رايتى
وكم من ســـلاح عليهم شـهر
وكنا خططنـا انتشـال البـلاد
وانقـاذها من عتـو التتـر
وأن نسـتقل بسـلطانها
ونهضتها فى النـواحى الأخـر

ويصور شوقى على بك الكبـير مصلحا عظيما ، يريـد أن ينهض بالبلاد ولكن الشـعب المصرى لا يساعده لقصور وعيه ، وعـدم ثقته فى أى حاكم أجنبى ، فأصـبح لا يميز بين الصالح والفاسـد منهم وعندما غدر « أبو الدهب » بسيده على بك الكبير .. يسأل على بك عن موقف الشعب المصرى من الأحداث فيجيبه « شمس » أحد أعوانه :

مـال يا أمـير كعهـده
قد مال عن باب وقـام بباب
والترك قد نصبوه بعـدك هرة
يتصـيدون بظفرهـا والناب

وفى نهاية المسرحية يركز شوقى على بناء الأمة على ركيزة قـوية من الأخلاق ، فالأخـلاق هى التى تبنى الأمم فيقـول على لسـان « على بك الكبير » مخاطبا صديقه مرادا :

بنـاء الممـالك واهى الأسـاس
عـوى الذئب فيهـا وصاح الأسد
اذا فسـد الخـلق فى أمـة
فقـل كل شىء لهم قد فسد(٢٩)

---

(٢٩) فى النقد المسرحى ص ٩٨ د. محمد مندور ط بيروت .

ولعل هذه النزعة الوطنية فى مسرحية « على بك الكبير » هى التى جعلت الخديوى يحجم عن تشجيع شوقى فى هذا الاتجاه عندما أطلع على مسودة تلك المسرحية فى صورتها الأولى بعد أن بعث بها اليه شوقى وهو يدرس الحقوق فى فرنسا ، لأن الخديوى رأى فى تلك المسرحية صورة صادقة لعصره ومرآة تنعكس عليها أحداثه كما رأى « شوقى » ينشر فيها خواطر سياسية جريئة ما كان يستطيع أن يصرح بها فى قصائده التقليدية فخشى من تأثير هذا الاتجاه فى الشعب المصرى الذى يمكن أن يتحول بسبب ذلك الى مارد مخيف يحطم الأغلال ، ويكسر القيود ، ويتحرر من كل أشكال القهر والاستغلال .

وفى مسرحية « مصرع كليوباترا » يحاول شوقى جاهدا أن يدافع عن « كيلوباترا » فصورها وطنية مخلصة لوطنها تؤثر مصلحته على مصلحتها الشخصية حيث يقول على لسانها :

أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجمال(٣٠)

كما يقدمها سياسية بارعة تريد أن تظفر بعرش روما عن طريق الحيلة مادامت لا تستطيع أن تفعل ذلك عن طريق القوة ، ولذلك فقد فسر فرارها من موقعة « اكتيوم » بأنها أرادت أن تترك «أنطونيوس» يقاتل وحده غريمه « أكتافيوس » حتى يرهق كل منهما صاحبه وتكون لها الغلبة فى النهاية على الطرف الفائز لأنه سيخرج من المعركة ضعيفا خائر القوى وعندئذ سوف تكون لها السيادة على البحر الأبيض المتوسط بلا منازع .

يقول شوقى على لسانها ، شارحا خطتها ، ومفسرا انسحابها من المعركة :

---

(٣٠) شوقى شاعر العصر الحديث ص ١٩١ د. شوقى ضيف .

قلت رومـــا تصـدعت فقـرى شط
را من القـوم فى عـــداوة شـطر
بطـلاها تقاســما الفـلك والجيـ
ش وشـبا الوغى ببحـــر وبـر
واذا فـرق الرعـــاة اختـــلاف
علمـــوا هارب الذئاب التجـــرى
فتـــأملت حـــالتى مليـــا
وتـدبرت أمـر صـحوى وسـكرى
وتبيـــنت أن رومـــا اذا زا
لت عن البحـــر لم يسـد فيه غيرى
كنت فى عاصف ســـللت شـراعى
منـــه فانسلت البـوارج اثـرى
خلصـت من رحى القتـــال وممـا
يلحـق السـفن من دمـــاء وأسـر
فنسـيت الهـوى ونصـرة أنطـ
يوسى حتى غـــدرته شر غـــدر
علـــم الله قـــد خـــذلت حبيبى
وأبا حبيبتى وعـــونى وذخـــرى
موقف يعجب العـــلا كنت فيـــه
بنت مصر وكنت ملكـة مصـر (٣١)

أما موقف الشـعب المصرى من الأحداث فى « مصرع كليوباترا » فلم يكن بأحسن منه فى « على بك الكبير » على الرغم من عناصر السخط التى ظهرت عند بعض أفراده أمثال : ديون وحابى ، وايسياس فهؤلاء كانوا يمثلون الطليعة بالنسبة للشـباب الواعى ، واذا نراهم

---

(٣١) شوقى شاعر العصر الحديث ١٩٢ .

يضيقون ذرعا بانخداع الشعب المصرى وانصياعه لأمثال « كليوباترا » يقول حابى مخاطبا صديقه ديون :

اسمع الشعب ديون ... كيف يوحون اليه
ملأ الجـــو هتافا ... بحيـــاتى قاتليه
أثر البهتان فيـــه ... وانطلى الزور عليه
يالـــه من ببغـــاء ... عقله فى أذنيـــه

ثم يتوجه حابى بعـد ذلك الى « زينون » أمين المكتبة بالقصر فيدعوه الى الانضمام الى العناصر الوطنية الساخطة وينعى عليه تخاذله وضعفه ، واخلاصه « لكيلوباترا » التى لا تستحق الاخلاص لأنهـا حولت سرير مصر الى فراش للدعارة فيقول له :

أترضى أن يكـون ســـرير مصـــر
قوائمـــه الدعـــارة والبغـــاء ؟
أتهدم أمـــة لتشـــيد فـــردا
عـــلى أنقاضـــها ؟ بئس البنـــاء
لقـــد آن التكـــاشف والتـــواصى
بمـــا توحى الكرامـــة والاباء
تعـــال الـــى جماعتنـــا فانـــا
جنـــود الحق يجمعنـــا لـــواء

ثم يشرح له مقاصد الجماعة الوطنية وأهدافها مشيرا الى زميليه : ديون ، وليساس :

أخى هـــذا أثينى ... وخلى ذاك مقـــدونى
كـــلا الخلين للحـــق ... كما أدعـــوه يدعونى
كلا الخلين ذو جـــد ... بأرض النيل مدفون

فليسا فى هوى مصر وفى طاعتهـــا دونى
فديتـــا الوطن الغالى بالجنس وبالـــدين
ولم نصبر على حكم لروميـــة ملعون
ولســـنا حزب أكتاف ولسنا حزب أنطون
ولا نخضع للبـــاس ولا نخضـــع باللين

وانما أردنا تصوير موقف العنـــاصر الوطنية كما يبدو فى مطلـــع المسرحية ليتضح به أن شـــوقى حين عـــاب فيـــه على الشعب تخاذله وانصياعه لم يكن يقصد التعالى عليه ، أو الحط من شأنه ، وانما كان يعيب عليه تقاعسه عن أداء رسالته ، وهو فى ذلك يصف مفاسد حكام عصره وينبه الوعى بطريق غير مباشر منتهجا نهج المسرحيات الغربية الى اتخاذ موقف ايجابى من الأحداث المعاصرة مهما كلف الشعب ذلك الموقف من تضحية وتلك صيحة وطنية تذكرنا بنظائرها فى المسرحيات الثورية فى الآداب الأوربية وكان يستحيل على شوقى أن يتغنى بهـــا فى قصائده التقليدية(٣٢) وفى نهاية المسرحية لا تلبث العناصر الوطنية أن تتفكك ، فحـــابى يتخـــاذل ويرضى عن « كليوباترا » حين منحتـــه ضيعة ليعيش بها مع معشوقته « هيلانة » .

ثم ان جماعة الحق التى يمثلها حابى وصاحباه لم يتجاوز وعيهـــا نطاق الكلام فى موقف كان لا يجدى فيه سوى العمل . وهنـــا يلقى شوقى على معاصريه درسا من خلال موقف يشبه موقف الشـــعب فى واقعه ـــ آنذاك ـــ تجاه حكامه اللاهين ، ولا يقنع شوقى باستخلاص هذا الدرس ضـــمنا من مجرى الأحـــداث بل ينص عليه على لســـان « أنوبيس » حـــين يأتى اليه حـــابى مرتاعا من الهزيمة ومن ضـــياع استقلال مصر فيكشـــف « أنوبيس » عن وجـــه الخطأ فى وعى هؤلاء

(٣٢) فى النقد المسرحى ص ١٠١ د. محمد مندور .

الشباب الثرثارين وقد قعدت بهم همتهم عن القيام بدور ايجابى يتطلب فيه الوطن التضحية لا الكلام •

يقول « أنوبيس » مخاطبا حابى :

وأين كنت يا فتى ؟ وأين فتيان الحمى ؟
وأين فرسان المقا ل ؟ هل مضوا الى الوغى ؟
أبعد أن حل على النيـ ـل ووادية القضا
ولم يجد من شيبة ولا شبابه فدا
أتيت تدعونى كما تدعو العواجز السما
الرأى ليس نافعا اذا أوانه مضى (٣٣)

وفى نهاية المسرحية يجرى شوقى على لسان « أنوبيس » شعرا يختمه بقوله مخاطبا قواد الروم الظافرين الفرحين بفتح مصر :

قسما ما فتحتم مصر ولكن قد فتحتم بها لرومة قبرا(٣٤)

وأما فى مسرحية « قمبيز » التى ألفها شوقى بعد « مصرع كليوباترا » بنحو عامين فتدور أحداثها أيضا فى تاريخ مصر القديمة ، انها تصور حقبة مظلمة من تاريخ مصر ، وهى فترة الاحتلال الفارسى لمصر على يد قمبيز •

وفى بداية المسرحية يصور شوقى الشعب المصرى بأنه غارق فى الترف والنعيم ، ولكنه غافل عن حراسة الوطن بجيش قوى يصون استقلالها ويرد كيد الطامعين فيها ، فالجيش القوى هو رمز السيادة ، ودعامة الحرية •

---

(٣٣) فى النقد المسرحى ص ١٠١ د• محمد مندور •
(٣٤) شوقى شاعر العصر الحديث ص ١٩٠ د• شوقى ضيف •

يقول شوقى على لسان « فيروس » وهو فارسى جاء الى مصر لخطبة ابنة فرعون الى « قمبيز » ملك الفرس :

رأيت وجوها عليها النعيم
ودنيا على جانبيها الرغد
وسوقا تفض وسوقا تقام
وخلقا يروح وخلقا يفد
وشعبا على خطة فى الحيا
ة ونظم به فى الشعوب انفرد
ولم أر مثل صناعاتهم
سموا وبعدا عن المنتقد

فيسأله فارسى آخر :

ولكن « زفيروس » كيف الجنود
وكيف الحديد وكيف الزود ؟
وهل كنت تلقاهم فى الطريق
وتنظر أظفارهم واللبد ؟

ويجيب زفيروس :

أخى ما رأيت بمصر الجنود
ولم يأخذ العين منهم أحد
سوى فتية من جنود القصور
وضباطها فى الثياب الجدد
يروحون فى الخوذ اللامعات
ويغدون فى الذهب المتقد

ويعقب الفارسى الآخر على ذلك قائلا :

اذن : هـو مـلك بلا حـــائط
رقيق الأســـاس ضعيف العمد
خـــلا الوكر من صرخات العقـــا
ب ونامت عن الغاب عين الأسد
أولئـــك لا فى حمـــاة الديا
ر ولا فى العديد ولا فى العدد (٣٥)

وهكذا نجد « شوقى » يضـــع يده عـــلى مكمن الداء فى الدولة المصرية أيام قمبيز وهو ضعف الجيش المصرى ، وقلة عـــدده وعتاده ، واقتصـــاره على أولئك الضـــباط الذين يتخـــذهم فرعون زينة لقصره وسلاحا لارهاب شعبه ، أما قـــوات الجيش الضاربة التى تصـــون البلاد وتحمى العباد ، فلم يكن لها وجود آنذاك مما أطمـــع فى مصر العدو وأوقعها فى قبضة الاحتلال الفارسى فى عهد قمبيز •

وكأنى بشوقى ينبه المسئولين فى عصره الى ضرورة بناء الجيش المصرى وتدريبه على أحدث الأسلحة حتى يكون قادرا على طرد الانجليز والمحافظة بعد ذلك على استقلالها •

وفى هذه المسرحية يقدم لنا شـــوقى بعض الشخصيات الوطنيـــة أمثال « نتيتاس » ابنة فرعون مصر السابق التى قبلت أن تزف الى قمبيز مضحية بنفسها فى سبيل مصر •• وكان قمبيز قد تقدم لخطبة « نفرتيت » ابنة فرعون مصر فى عهـــده ولكنها رفضته فأرسل أبوهـــا « نتيتاس » ابنة الفرعون السابق الى قمبيز بدلا من ابنته وقد قبلت « نتيتاس » ذلك خوفا على مصر من الغزو الفارسى اذا رفض طلب قمبيز •

---

(٣٥) فى النقد المسرحى ص ١٠٣ د• محمد مندور •

تقول موضحة موقفها :

جئت أفدى وطنى من سيف قمبيز وناره
جئت أفدى وطنى من دنس الفتح وعاره

وعندما يكتشف « قمبيز » حقيقتها ويعرف أنها ليست ابنة فرعون التى خطبها ويدرك أنه غرر به يصمم على غـزو مصر ، وينجح فى الاستيلاء عليها وحينئذ تصمم « بتيتاس » أن تقود المقاومة الشـعبية للفرس فى الصعيد فتقول :

والآن الى طيبـــة والصـعيد
لحشر الرعـاة وحشد الحشود
وقهـر العـدو • وارغـــامه
وقذف المغير وراء الحـــدود

ومهما يكن من شىء فقد كان شوقى وطنيا صادقا وقد تجلى ذلك فى شعره ، فنجح فى تصوير مشـاعره الذاتية تجاه وطنه كما عمـل جاهدا على تنبيه الوعى القومى فى نفوس الشعب ، وحثه على الثقـة والتمسك بحقوقه ، والسعى الى مقاومة الغزاة والطغاة ، كما عمـل من خلال شعره عـلى تربية جيل من الشـباب يكون قادرا على حمـل المسئولية والدفاع عن وطنه والعمل على نهضته وتقدمه ...

د/ حمدان عبد الرحمن أحمد